مقاصدُ الأديان من الكليّات الخَمْس حِفْظُ الإنسان

2023-11-10

الحمد لله الذي أَكْرَمَنَا بدِينٍ يَرْعَى مصالِحَ الإنسانِ. ويحفظُ للمجتمعِ السلامةَ والأمانَ. فسبحانه من إله جعل في الإيمان أمناً وأمانة، وفي الإسلام سِلماً وسلامة، وفي القرآن رحمة وهداية، وفي الشرائع حكمة ووقاية، أَرْسَلَ رُسُلَهُ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَهُدَاةً مُصلِحِينَ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، صَانَ بِشَرعِهِ الشَّرِيفِ النَّفسَ البَشريَّةَ، وأَكرمَها ورَفعَها فِي المَنزِلَةِ العَلِيَّةِ، حَرَّمَ قَتلَها وإِيذاءَها، وأَوجَبَ حِفظَها ورِعايتَها، وفَرَضَ ما يَضْمَنُ وِقايتَها وسَلاَمتَها، وأَشْهَدُ أَنَّ سيّدنا مُحمَّداً عَبْدُ اللهِ ورَسولُهُ، وصَفِيُّهُ مِنْ خَلْقِهِ وخَلِيلُهُ، بعثه بالنُّور المضي، والبرهان الجلي، فأظهر به الشرائع المجهولة، وقمع به البدع المدخولة، وبيّن به الأحكام المفصولة.

محمّدُ المصطفى الهادي لسنّتِهِ * أعزز به من نبيٍّ في سيادتِهِ

الجُود والخير طَبْعٌ في جِبِلَّتِهِ * يا مُرْتَجين نوالاً من عطيّتِهِ

صلّوا عليه وزيدوا في محبّتِهِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. السيّد المطاع الذي تصلح به الأحوال وتهتدي إلى العمل الصالح والرأي الناجح. وعلى آله الطّيّبين الأردان والروائح. وصحابته ذوي السعي المشكور والمتجر الرابح. صلاة تصلح لنا بها القلوب والجوارح. وتطهّرنا بها من الأوصاف الذميمة والقبائح. وتنشقنا بها من عَرْف رضاك ورضاه أطيب النواسم وأعطر النوافح. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. جاء الإسلام بمبادئه العظيمة. وتشريعاته الحكيمة. وتعاليمه الربانية الجليلة. التي تحافظ على الإنسان في كل مراحله، وتمنع الإعتداء عليه. أو التّسبّب في إلحاق الضرر به، ولذلك فإنّ فإنّ من مقاصد الشريعة

صَلاحُ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَاسْتِقَامَةُ أَهْدَافِ النَّاسِ فِيهَا، وَتَقْوِيمُ سُلُوكِهِمْ عَلَى الفِطْرَةِ السَّوِيَّةِ، فَفِي الدِّينِ الخَيْرُ وَالبُشْرَى، وَفِيهِ الصَّلاحُ فِي المَعَاشِ وَالمَعَادِ، وَالعَدْلُ وَالرَّحْمَةُ بَيْنَ العِبَادِ؛ قَالَ الله تَعَالَى في سورة النحل: ((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ)). جَاءَ الدِّينُ لِتَحْقِيقِ مُرَادِ اللهِ فِي الأَرْضِ، وَتَحْقِيقِ مَصَالِحِ الفَرْدِ وَالمُجْتَمَعِ مِنْ حَوْلِهِ، وَحِفْظِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا، وَتَدْبِيرِ أَحْوَالِ المَعَاشِ وَالعَلاقَاتِ الإِنْسَانِيَّةِ، وَإِقَامَةِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَفْقَ مِعْيَارٍ مُتَوَازِنٍ، وَاعْتِدَالٍ وَانْتِظَامٍ، يَقُولُ الحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى في سورة القصص: ((وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)). أيّها المسلمون. وَمَقْصُودُ الدِّينِ مِنَ النَّاسِ خَمْسَةُ مَقَاصِدَ؛ وَهِيَ أَنْ يَحْفَظَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَنَفْسَهُمْ وَعَقْلَهُمْ وَنَسْلَهُمْ وَمَالَهُمْ، فحياة البشر في الدنيا لا تستقيم إلا بحِفظ هذه الضروريات الخمس. والتي اتّفقت عليها الأديان السماوية، وأقرّت بها الأُمَم الماضية، وَالمُبْتَغَى فِي ذَلِكَ كُلِّهِ تَحْقِيقُ الحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ لِلْبَشَرِيَّةِ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ في سورة النحل: ((مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)). فَيَنْعَمُونَ فِي هَذِهِ الأَرْضِ بِالأَمْنِ وَالسِّلْمِ وَالإِسْتِقْرَارِ، وَالمُبْتَغَى مِنَ الدِّينِ أَيْضًا رَفْعُ الحَرَجِ عَنِ الإِنْسَانِيَّةِ وَقَدْ عَلِمَ اللهُ ضَعْفَهَا. قال تعالى في سورة النساء: ((يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا)). وقال سبحانه في سورة البقرة: ((يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)). وَمِن أَجْلِ هَذَا وجب توفير الحماية لهذه الكُلِّيَّاتِ الخَمسِ من الفساد؛ وَهِيَ: (الدِّينُ، وَالنَّفْسُ، وَالْمَالُ، وَالنَّسْل، وَالْعَقْلُ). رغبةً في أن يكون المجتمع آمنًا مطمئنًّا. فأَوْجَبَ الإِسلامُ حِفظَهَا. وَحَمَى حِمَاهَا، وَحَدَّ الحُدُودَ. وَشَرَعَ التَّعزِيرَاتِ. لِلحَيلُولَةِ دُونَ النَّيلِ مِنهَا، أيّها المسلمون. وَإِذْ يَسْتَمِرُّ العُدْوَانُ عَلَى الأَقْصَى وَأَهْلِهِ، وَتَتَعَاظَمُ الجَرَائِمُ فِي حَقِّهِمْ، فَإِنَّ الوَاجِبَ تِجَاهَهُمْ وَفْقَ مَقَاصِدِ الدِّينِ حِمَايَتُهُمْ فِي الجَوَانِبِ الخَمْسَةِ كُلِّهَا: وَأَوَّلُهَا: حِمَايَةُ الدِّينِ مِنَ التَّعَدِّي وَالتَّدْنِيسِ

وَالتَّشْوِيهِ، وَحِفْظُهُ مِنَ الإمْتِهَانِ وَالتَّحْرِيفِ؛ وَثَانِيهَا: حِمَايَةُ النَّفْسِ مِنَ الظُّلْمِ وَالقَتْلِ وَالعُدْوَانِ، وَعِصْمَةُ النَّفْسِ البَشَرِيَّةِ وَصَوْنُ الحَيَاةِ وَالأَمَانِ وَالإطْمِئْنَانِ، وَثَالِثُهَا: حِمَايَةُ العَقْلِ مِنَ المُؤَثِّرَاتِ الضَّارَّةِ بِكُلِّ أَنْوَاعِهَا، أَوْ مَا يُعَطِّلُ طَاقَاتِ العَقْلِ وَيُؤَثِّرُ فِي عَمَلِهِ وَإِدْرَاكِهِ، وَرَابِعُهَا: حِمَايَةُ النَّسْلِ مِنَ الانْقِطَاعِ وَالأَمْرَاضِ وَالأَوْبِئَةِ، وَالحِفَاظُ عَلَى الأُسْرَةِ وَالحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ الصَّحِيحَةِ وَاسْتِقْرَارِهَا وَاسْتِمْرَارِهَا، وَخَامِسُهَا: حِمَايَةُ المَالِ مِنَ الاعْتِدَاءِ وَالإِهْلاكِ وَالتَّدْمِيرِ، وَالحِفَاظُ عَلَى الكَسْبِ وَالعَمَلِ وَحَقِّ المِلْكِ وَالتَّدَاوُلِ. أيّها المسلمون. فَهَذِهِ حُقُوقٌ كُلِّيَّةٌ خَمْسَةٌ لا يَجُوزُ المِسَاسُ بِهَا؛ وَخُطُوطٌ فِي كَرَامَةِ الإِنْسَانِ لا يُمْكِنُ تَخَطِّيهَا، وَيَعْنِي هَذَا عَدَمَ جَوَازِ الإنْتِقَاصِ مِنْهَا فِي أَيِّ وَقْتٍ. أَوِ الإعْتِدَاءِ عَلَيْهَا بِأَيِّ طَرِيقَةٍ، وَيَجِبُ احْتِرَامُهَا وَالدِّفَاعُ عَنْهَا بِشَكْلٍ كَامِلٍ، وَيُؤَكِّدُ ذَلِكَ كُلَّهُ قَوْلُ الحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى في سورة المائدة: ((وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)). وَبِهَذِهِ المَقَاصِدِ الكُلِّيَّةِ يَتَجَلَّى وَاجِبُ الأُمَّةِ الإِنْسَانِيَّةِ كُلِّهَا تِجَاهَ الأَقْصَى وَأَهْلِهِ، وَوَاجِبُ المُسْلِمِينَ خَاصَّةً فِي إِخْوَانِهِمْ مِنَ الضُّعَفَاءِ، فِي أَوْقَاتِ الأَزَمَاتِ وَالشَّدَائِدِ؛ بِالعَمَلِ مَعًا فِي سَبِيلِ الحِفَاظِ عَلَى تِلْكَ الأَسَاسِيَّاتِ العَامَّةِ، كَأُسْرَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَمُجْتَمَعٍ بَشَرِيٍّ يَنْشُدُ الخَيْرَ وَالعَدْلَ وَالسَّلامَ، فَضْلًا عَنْ وَاجِبِ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ فِي حَقِّ المُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ المُسْلِمِ؛ روى الإمام أحمد وأبو داود عن جابر بن عبد الله وأبي طلحة بن سهل الأنصاري رضي الله عنهما أنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، إِلَّا خَذَلَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنِ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ، إِلَّا نَصَرَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ)). أيّها المسلمون. لِنُصْرَةِ الأَقْصَى وَأَهْلِهِ؛ عَلَى ضَوْءِ مَقَاصِدِ الدِّينِ، إسْتَمِعُوا وَأَنْصِتُوا لِأَجْمَعِ آيَةٍ فِي بَيَانِ حِمَايَةِ مَقْصِدِ الدِّينِ للإِنْسَانِ، يَقُولُ الحَقُّ تَعَالَى في سورة النحل: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)). فَفِي هَذِهِ الآيَةِ الجَامِعَةِ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالإِتِّصَافِ بِصِفَاتِهِ، وَالتَّخَلُّقِ بِهَا فِي أَحْوَالِهِمْ؛ وَتَدْخُلُ فِيهَا أَخْلاقُ العَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَالشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَكَذا الطَّهَارَةُ عَمَّا لا يَلِيقُ مِنَ الفَوَاحِشِ وَالمُنْكَرَاتِ. فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى العَادِلُ وَالمُحْسِنُ، وَالرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، غَيْرُ ظَالِمٍ وَلا جَائِرٍ، وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ جَمِيعِ العِلَلِ، فَمَنْ كُسِيَ أَنْوَارَ هَذِهِ الصِّفَاتِ مِنَ العِبَادِ، وَتَخَلَّقَ بِهَا فِي سُلُوكِهِ، وَرَبَّى نَفْسَهُ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُ يَخْرُجُ عَادِلًا مُحْسِنًا، رَؤُوفًا رَحِيمًا، طَاهِرًا مُطَهَّرًا، صَادِقًا مُصَدَّقًا، حَبِيبًا مَحْبُوبًا، يَعْدِلُ مَعَ نَفْسِهِ وَمَعَ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ، وَيَأْخُذُ مِنْهَا الإِنْصَافَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عِبَادِ اللهِ، وَيُحْسِنُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ، وَيُرَاعِي ذَوِي القَرَابَةِ، وَيَرْحَمُ الضُّعَفَاءَ، وَيَنْهَى نَفْسَهُ عَنِ الأَنَانِيَّةِ وَالهَوَى، وَيَدْفَعُهَا عَنِ الظُّلْمِ وَالغَشْمِ.
أيّها المسلمون. إنّ نصرة إخوانِنا المظلومين المحاصرين في غزة من أرض بيت المقدس لَوَاجبٌ شرعي، ولئن حاصر بنو صهيون الماء والغذاء والعلاج والدواء فإنهم لن يحاصروا مدد السماء، فارفعوا عباد الله أكفَّ الضراعة في أوقات الإجابة، وألِحُّوا وألِظّوا إلى الله أن يرفع المعاناة ويكشف الحصار، مع التعاون والتواصي على إيصال الإعانة والإغاثة لهم بأسرع وقت، فالأمر لا يحتمل مزيدا من التأخّر والتردّد. ولا ننسَ أيّها المسلمون. مع هذه الأحداث أن نرتبط بالله، وأن يزيد يقيننا ثقة بمَوْعُود الله ورسوله، فالمصائب مدرسة لصياغة رجال المجد، وجيل التمكين لن يخرج إلا من رَحِم الفواجع، فأمِّلوا وأبشروا خيرا، وأصلحوا أنفسكم ومجتمعاتِكم تصلح لكم أوطانكم وبلدانكم. للهم ربَّنا عزَّ جارُك. وتقدّست أسماؤك. اللهم لا يُرَدُّ أمرك. ولا يُهْزَم جُنْدُك. سبحانك وبحمدك. اللهم انصر جندك وأيّدهم في فلسطين وكل مكان. اللهم آمِن خوفَهم. وفُكّ أَسرَهم. ووحِّد صفوفَهم. وحقِّق آمالَنا وآمالَهم. وبارك في حجارتِهم. واجعلها حجارة من سجّيل على رؤوس اليهود الغاصبين. اللهم اجعل قَتْلَهم لليهود إبادة. واجعل جهادَهم عبادة. اللهم احفظ دينَهم وعقيدتَهم ودماءَهم. وانصرهم على عدوِّك وعدوِّهم. وطهِّر المقدَّسات من دنس اليهود

المتآمرين والمنافقين والمتخاذلين. اللهم فرّج هَمّ المهمومين. وفُكَّ أَسْر المأسورين والمعتقَلين. وكن لليتامى والأرامل والمساكين. واشفِ مرضاهم ومرضى المسلمين. ربنا تقبَّل منّا إنّك أنت السميع العليم. وتب علينا إك أنت التوّاب الرحيم. اللهم آمنّا في الأوطان والدُّور، وأصلح الأئمّة وولاّة الأمور. يا عزيز يا غفور، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ، لا ضالّين ولا مضلّين. بالمعروف آمرين. وعن المنكر ناهين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ